من تراب الطريق (٥٥٣)

الاستعداد للمحبة بين الظهور والاختفاء (*) (١)

فى أعمق أعماق الآدمى ؛ استعداد للمحبة محلٌ للشعور والوعى ، وأحياناً الفهم والتأمل بل والتدين .. وهو استعداد يقبل الانكماش والاتساع والانحصار والانتشار والتقلص والتمدد .. نجده فى الأسرة والجيرة والصداقة والاشتراك والانتماء ، وفى وجود اللغة والعادات والتقاليد والأعراف ، وفى قيام النجوع والقرى والبلدان والمدن والأقطار وجماعاتها ورئاساتها ونظمها وشرائعها ودولها وحضاراتها . لأن ذلك كله نتاج استعدادات الآدمى منفرداً ومجتمعاً .. ومنها المحبة السائدة فعلاً أو افتراضاً . وهذه مهما تقلصت لا تنمحى .. وتقلصها إن تقلصت تدريجى يلازم نمو العادات الأنانية وانكباب الآدمى على تفضيلها وإيثارها ومن ثم تضييقه الوجود الواسع شيئاً فشيئاً .. بحيث لا يعود الآدمى قادراً على الالتفات لغير تلك العادات التى تحصره هو ومن ينقلها عنه أو يشاركه فى سجنها .. لأن اعتياد تلك العادات لا يكون إلاَ مع الاستخفاف بالآخرين واحتقار شأنهم وعدم المبالاة بهم ولا بمتاعبهم ولا بما يصيبهم وتجاهل دورهم فى الوجود ، أو مع إساءة الظن وفقدان الثقة بالناس ، أو مع فورة الطمع والجشع والنهم .. هذه الأنانيات التى تحجب عن العين والعقل والقلب تحجب رؤية حقوق الغير ومصالح الآخرين المشروعة ، وهذه الدوافع قد توجد معاً فى

(*) المال ٣/ ١/ ٢٠١٢

ذات الوقت وذات البيئة دون أن تحفل بها البيئة إذا ما كانت الظروف العامة للبيئة مناسبةً لحاجاتها ومطالبها لا تشكو ضيقاً ولا تختنق بأزمة.

أما إذا تعرضت البيئة للمعاناة الشاملة من ضيق مستحكم أو من أزمة خانقة ؛ فعندئذ تهيج تلك الدوافع الأنانية وتنتشر فى الجماعة وتسرى فيها سريان النار فى الهشيم ، فلا تجد فى غالبية الناس إلاَّ خائفاً لا يعنيه ولا يهمه إلاَّ النجاة بنفسه وماله وأهله ، أو غشوماً هجاماً غارقاً فى فرص التحطيم والسطو والسلب والنهب ، أو جشعاً تضاعف سعاره بزيادة فرص الاغتنام والإغراق فى الجشع مع تزايد عدد الجشعين إلى غير حد وفى جميع المستويات والطبقات!

وأول من يشعر بوقع الضيق والأزمات ، هم عامة الناس وسوادهم الذين ينهكهم هم وأسرهم التعطل وانقطاع الرزق والموارد المحدودة التى يحصلون عليها من أعمالهم وأشغالهم ، وذلك يملؤهم بطبيعة الحال بمشاعر الضيق والظلم والاعتراض والحقد على الحكم والحكام والنظم ، وعلى عموم الأغنياء ومن أثروا وراجوا بفضل الأزمات واستغلالهم لها فى الإثراء والمزيد منه ، وينمى لديهم لدى الفقراء والمطحونين والمهمشين ينمى لديهم الاعتقاد بأن الضيق الذى يعانون منه ، ويقيمهم ويقعدهم ، لا يزيله ولا يمكن أن يزيله إلاَّ تدمير ذلك كله أياً كانت آثاره وتبعاته .. وعندئذ يبدو أن الناس قد فقدوا استعداد الآدمى للمحبة .. وهذا تصور كاذب وغير صحيح فلا ينتهى ولا ينمحى تماماً الاستعداد للمحبة .. لأن تغير آرائنا وعواطفنا تبعاً لظروفنا وأحوالنا ؛ هو أيضاً ثمرة ما لدينا من استعدادات .. وقد يغطى نشاط استعداد ما على عمل استعداد غيره ، وقد يحجبه ولكنه

لا يمحوه من الوجود .. وقد ينتهى النشاط الذى غطى ، أو يفتر ، ويسمح لغيره من الاستعدادات بالظهور والعمل .. وهو ما يحدث حين يشعر عامة الناس بانتهاء الأزمة وعودة الرخاء ، أو حين يشعرون بأن الأزمة قد اشتدت وشملت الجميع وأذلت بصفةٍ عامة الكبار والأثرياء .. فيبالغون فى الرثاء لهم والعطف عليهم إذا استُجيب للاستعداد الفطرى للمحبة فرحين بظهوره والعمل به .. هذا لأن ترقى الآدمى وتطوره أولاً وأخيراً ، هو ثمرة نجاحه فى تطوير استعداداته القابلة للتطوير ونماء استعداداته التى كانت تخدمه وتنفعه حال همجيته وتخلفه .. وقد نجح الآدمى فى إخماد الكثير من السلوكيات الفاضحة التى كانت تصادر الأرزاق أو تستجلب الازدراء والاحتقار ، ولم ينجح بعد فى تطوير الكثير من استعداداته الأخرى لغلبة انحيازه لذاته على حساب الآخرين وقلة أو انعدام اكتراثه بغيره ممن لهم حقوق مماثلة لحقوقه ومصالح مكافئة لمصالحه أو أولى منها بالالتفات إليها.

وقد سوَّغ للآدمى استمرار الإفحاش فى الأنانية أو إدمانها أنه غالباً قابل للستر والإخفاء عن عيون غالبية الناس ، وقابل للتسويغ عند من بيدهم مقاليد الأمور من تملق أنانيتهم ومماألتهم بما يرضيهم . وهكذا تتضافر أنانيات الحاكم وبعض محكوميه ، والمتبوع وبعض تابعيه ، على إخفات صوت الاستعداد لمحبة الغير وإعاقة ارتفاعه والحيلولة دون انتشاره والاستجابة له ، وذلك من أجل منافع خاصة دائمة أو يرجى أن تدوم وهى بالتأكيد لن تدوم ، فلا شىء يدوم .. وهذا سلوك تفشى يقلده ألوف وألوف الألوف بلا جدوى تذكر ، وينتهى الأمر حتماً بالجميع إلى أزمات لا ينقطع تواليها ، وأحياناً إلى كوارث لا سبيل لتفاديها!!!

من تراب الطريق (٥٥٤)

الاستعداد للمحبة بين الظهور والاختفاء (*) (٢)

إن تزاحم الاستعداد فى الكائن الحى، واقع مشهود .. وهو يخضع خضوعاً يكاد يكون تاماً بحكم العادة والاعتياد، ولذلك يجب التفطن لتحكم العادات فى الآدمى، الحسن منها والقبيح .. فالعادات السيئة القبيحة أو الضارة، يجب مقاومة الاعتياد عليها والإقلاع عنها، والالتقاء مع أذواق الجماعة وأخلاقياتها فى رفضها لهذه الأنماط السلوكية التى لا ترتضيها، وتكريس الاعتياد على كل ما هو حسن والتشجيع على الالتزام به وتقليده ومحاكاته.

والاستعداد لمحبة الغير، وإن كان يبدو الآن محموداً فى كل الجماعات الإنسانية، إلاَّ أنه يقتضى التضحية باستعدادات أخرى أكثر خلطة وأطوع للغرائز الأولية البدائية .. هذه البدائيات بالغة القدم التى صاحبت إيجاد الآدمى على الأرض وكفلت بقاءه دهوراً بالغة الطول فى كفاحه الذى لم ينقطع مع بقية زملائه فى عالم الأحياء إلى أن استقرت له السيادة الحالية .. هذه السيادة التى ما زالت للآن تعلى فى نظره شأن الغلبة والسيطرة والسطوة لنفسه كفرد ولجماعته كجماعة، برغم ما جرّت وتجرّ عليه تلك النظرة الغشوم من ويلات لا آخر لها، ملأت تاريخه القديم والحديث، وما زالت تغشى حياته للآن مهددةً حاضره ومستقبله بأفدح الكوارث والأخطار!

(*) المال ٤/ ١/ ٢٠١٢

لم تفلح الديانات والأنبياء على ما قدموا، ولا رؤية الحكماء وأهل الإخلاص والأمانة والعلم على ما بذلوا لم تفلح فى إزالة سيادة تلك النظرة التى تسود إلى اليوم نفوس وعقول الأقوياء من الأفراد والجماعات، وتسود رؤاها وأحلامها وأطماعها تسود كذلك نفوس وعقول الضعفاء من الأفراد والجماعات !

وبرغم تزايد ارتفاع الأصوات بالإشادة بالاشتراكية وطلب المزيد من الحقوق للأيدى العاملة منذ النصف الثانى من القرن قبل الماضى وحتى الآن إلاَّ أن الناس لم تكف فى كل مكان عن نشدان الثراء الشخصى فى الخفاء أو علانية كواقع تبلغه الأقلية أو بوسعها أن تبلغه، وهو مطلب ملحّ متسلط على عقول وآمال أغلبية الناس، ويحوط كل مساعيهم وأحلامهم ويخالط مساعيهم فى كل سوق وكل مجال، يحدوهم أن الثراء تميز يعطى من يناله تمييزاً خاصاً يستحيل أن يشمل عامة الخلق أو يتهيأ ويتيسر بسهولة لسواد الناس . لأن هذا الثراء لا يتحقق إن تحقق ! بمجرد الإفلات من وقع وأوضار الاحتياج والفاقة، ولا حتى ببلوغ درجة الأوساط المستورين أو الواقفين على أعتاب أول السلم إلى الثراء، وإنما يتطلع هذا الثراء الذى يتطلع إليه طلابه إلى مرتبة أعلى وأقوى فى نظر الجماعة . تتمتع بإجلال الناس تبعاً لإجلالهم للثراء وإيمانهم بتسلط المال وسلطانه وتصدر المال جدول القيم !!

والآدمى الذى تمتلئ صفحة وجدانه بهذه الاقتناعات، ويصل فيها إلى هذه المرحلة المبعدة فى إجلال الثراء والأثرياء بعيدٌ عليه أن يتخلى عن اقتناعاته أو عن الأسباب التى أوصلته إليها وعن نتائج وتوابع الوصول إليها، مهما علا فى ضميره صوت المحبة للغير، اللهم إلاَّ أن يكون وليّاً أو قديساً يخرج عن بحر العاديين، ومع ذلك فإن غاية ما يبلغه أن يكثر من

أعمال البر أو الخير أو النفع العام ، دون أن يهبط بمستوى معيشته أو يقلل ذلك من عنايته بماله وتنميته له وفق الوسائل والأساليب المألوفة فى محيطه ولدى أمثاله .

لم تنجح الشيوعية ، أو الاشتراكية المتطرفة ، خلال تسيدها لأكثر من نصف قرن على شعوب كبيرة وبلاد واسعة لم تنجح فى إزالة سلطان المال وإزاحته عن عرشه الذى استقر فيه آلاف السنين .. سواء فى جوهر الأنظمة أو فى أذهان البشر وأرواحهم .. كما لم تنجح فى إلغاء السلطات والمزايا والفروق .. الهائلة التى فى ظلها حكم الحكام الشيوعيون أو الاشتراكيون شعوبهم . ذلك لأن مواهب البشر العامة وإن أمكن إخفاؤها أو تجاوزها لوقت ما ، قصير أو طويل ، خلال الترديد والترويج والتوكيد للمذهب وفلسفته ونظرياته فى المبادئ ، إلاَّ أن ذلك لم ينجح ولا يمكن أن ينجح فى طمس هذا الواقع ، ولا فى علاج المتاعب الناجمة عن الفروق .. لأن الشعارات والوعود لا تلبث أن تسقط عند دخولها حيز التجربة والتطبيق !!

إن التبسيط الفكرى الذى لم يعركه الزمن والتطبيق ، يتجاهل تجاهلاً شديداً ربما دون أن يفطن معالم السلوك العادى لدى الآدميين أفراداً وجماعات .. وهو سلوك بطىء التطور ، وليد ماضٍ طويل بالغ الطول ، تركت كل حقبة مرت تركت بصماتها عليه واكتتبت بنبضها فى تكوينه وتكوين ما انتقل منه عبر الأجيال الماضية وإلى الأجيال الحاضرة ، ومن غير المأمون تغيير ذلك كله دفعة واحدة أو على دفعات متقاربة من آدميين محدودى العمر والعدد والخبرة .. ومهما كان حظهم من الذكاء والفهم والبصيرة والاستقامة والأمانة ، ربما لأن ذات هذه المواهب والقدرات المتميزة هى الدافع المُلِحّ لتميز أصحابها وإن اضطرتهم المبادئ المعلنة إلى مواراته فى الخفاء !!!

من تراب الطريق (٥٥٥)

الاستعداد للمحبة بين الظهور والاختفاء (*) (٣)

نعود فنقول إن فى أعماق الآدمى استعداداً فطريّاً للمحبة ، لكنه ليس الاستعداد الوحيد ولا الأقوى ولا الغالب فى أغلب الأوقات وليس من المأمول أن يصبح كذلك فى المستقبل ، وإنما نأمل أن يفطن البشر إلى قيمته وقيمة الاعتياد عليه فى جعل حياتهم أكثر هدوءًا واستقرارًا وتعاونا وسلاسة وبعدًا عن المخاطر أو المعاطب مما هى عليه الآن ومما تتعرض له فى المستقبل الذى قد يكون قريبا إذا استمر إغفال البشر لهذا الاستعداد الإنسانى .

إن هذا الاستعداد للمحبة ليس وسيلة للدفاع عن حياة الفرد أو الجماعة ، وإنما هو طريق أكيد لضمان السلام بين البشر ، ولإتاحة فرص التفاهم وتبادل الخدمات والمعونات ، ولجمع وتضافر المعارف والتجارب ولإسراع خطى التطور والتقدم وعلى نحو غير مسبوق ، ولتمكين الجميع بغير تفريق بين الغنى والفقير والقوى والضعيف من الإحساس بالثقة والأمان الشاملين ، ونسيان الخوف والقلق والحيرة وانعدام النصرة والإنصاف ، وزوال خطة النظام العاجز فى التوزيع المغرض والعدالة غير المتبصرة .

لقد عرف الأقدمون ذلك الاستعداد الفطرى للمحبة وقدسوه ونسبوه اعتقادًا إلى السماء على أنه الدواء الإلهى الذى يداوى المجتمعات حين تستحكم فيها الشرور ويعجز البشر عن إصلاحها ، فتوفد السماء نبيًا أو

(*) المال ٥/١/٢٠١٢

رسولاً أو قديسًا يجمع أشتات الناس مرة أخرى مع الالتفات لصوت ذلك الاستعداد وإيثاره وتفضيله فيتغلبون بذلك على الشرور التى نكبتهم ويستعيدون مسيرتهم فى الحياة السليمة المليئة بالمحبة والمسالمة والثقة والأمان .

قد اعتقد الناس أن ذلك العلاج الإلهى يجىء على دورات كلما استشرى الشر بين الخلق ، وأن كل دورة تسبقها إرهاصات وأمارات بمجىء ذلك العلاج تمهد له وتعد الأذهان والقلوب لمجيئه .. وكثيرا ما ظنت جماعة أنها قد أوتيت تلك الإرهاصات والأمارات وأن الزمن قد دار دورته وجاء أوان وفادة المنقذ المبعوث وانقادت من ثم لمن قدم لها نفسه على أنه هو إياه وهماً منه أو خُبْثاً .. وساقها ذلك إلى المزيد من الأذى والبلاء والبطش بها وقتل أو أسر جموعها بالحديد والنار !!

وخلط فطنة الآدميين بأحلامهم على ذلك النحو الفاجع ، ليس مستغرباً وهو لا يبطل فطنتهم إلى الاستعداد للمحبة القابع فى أعماق كل آدمى لا يكذب إحساسه العميق بأن الاتجاه الفطرى إلى خير الكل هو الأصل فى الموجودات كلها ، وأن الشر بأنواعه طارئ زائل مهما طال أمده ومهما أخطأ البشر فى اختياراتهم وأحكامهم وأفكارهم ومصدقاتهم .. ويبدو أن ذلك كان الأساس الذى بنيت عليه الأخلاق العامة والخاصة والتزام الكل بها بغض النظر عن صوابهم وخطئهم فى تحديد ما هو خير وما هو شر .. وهو تحديد ينبع مما كان قد توفر لهم من الاستنارة والإحاطة ببيئتهم ودنياهم .. وهذا التأصيل لقربه الشديد من الفطرة وطبيعة الآدمى ، أولى بالتأييد من الأصول المختلفة التى ترد إليها قواعد الأخلاق المتداولة فى زماننا ، فى الفلسفة وعلوم الاجتماع والنفس . وتلك الأصول ترد إلى أصول أخرى

أسبق بلا آخر ، مبناها تفسير المشاهدات الخارجية فى التجارب والسلوك لدى الأفراد والجماعات فى مكان ما فى زمن ما ملتزم بالموضوعية البحتة التى لا تتجاوز الطبيعة القابلة للمشاهدة بالحواس والآلات ، وربما كان فى ذلك الاستعداد لمحبة الغير خيط دينى هو الذى صرف تلك الفلسفات والعلوم عن الالتفات الجاد إليه !

ومن أهم ما يعترض ذلك الميل إلى محبة الآخرين والإحسان إليهم عزة النفس التى نشعر بامتيازها على سواها وحقها فى الإكبار والترفع عن مستوى الغير أو الأغيار ، مفترضين ذلك التميز أو متوهمين له ، وهذا هو كبر أو تكبر الخاصة والذين يتمسحون بهم طمعاً أو غروراً ، وما يلابس ذلك ويلازمه من ترفع وانحياز للذات لخدمة الأغراض واتخاذ الخدم والأتباع والتعالى على الفقراء والضعفاء حتى من ذوى القرابة أو الجيرة . هذا الداء يكاد يكون متوطناً فى ريف بلادنا ، لم تفلح الهجرة لمن هاجر ، ولا الغنى لمن حققه ، فى تخفيف غلوائه ، فكان هذا وتراكماته سبباً فى إخفاء الاستعداد للمحبة ، هذا الاستعداد الذى تراجع أمام الاستعداد للتكبر والعجب والخيلاء والتيه بالذات والإحساس بعلو القدر والمنزلة والمكانة !!

من تراب الطريق (٥٥٦)

الاستعداد للمحبة بين الظهور والاختفاء (*) (٤)

فى القرى والبلدان ، يتحاشد الأقوياء بعضهم لبعض ظهيرًا من آلاف السنين ، ولكن تشتت الذين يعملون فى حقولها يحولَ بينهم وبين تجمع يشعرون فيه بقوة تجمعهم وخطورة شغبهم إذا شغبوا فى أماكن أعمالهم . هذا وكل من الإذعان والاستكانة ، أو التمرد والشغب ، أمارة على نشاط الاستعداد للمحبة .. فهذا الاستعداد حاضر فى النقيضين .. شأنه شأن الاعتزاز بالذات واحتقار الغير ..فهما على تقابلهما نابعان من نبع واحد أو إن شئت : من استعداد واحد !

والآدميون هنا وهناك ، وفى كل زمان ، فى فقرهم وغناهم وضعفهم وقوتهم قليلا ما ينصتون إلى نداء المحبة والأخوة فى داخلهم .. لأنهم جميعا مشغولون بأنفسهم .. وما يظن كل منهم أنه خيرٌ لنفسه .. وذلك بلا فطنة ولا رويّة يمكنان من الالتفات والانتباه إلى ذلك النداء الذى لا ينقطع داخل كل منا ويمكن أن نسمعه ونفهمه لو هدأنا واعتدلنا واعتدنا على مقاومة زحف الخوف أو طوارئه ونداء الطمع والجشع والغرور !

والإنصات إلى هذا النداء نداء المحبة والأخوة ، غاية فى ذاته ينشدها ويسعى إليها قليلون فى كل عصر ، وأمنية يتمناها أغلب الناس ولكن بلا سعيٍ ولا عزيمة .. والكتب المقدسة ، ومأثورات الديانات ، مليئة

(*) المال ٩/ ١/ ٢٠١٢

بالنصوص التى تحث الآدميين على التآخى والتساند ومعاونة بعضهم لبعض ، وتحذيرهم من استحالة أن تستقيم لهم الحياة إذا تبادلوا المقت والكراهية والحقد والكبر والحسد والإغفال والاستغفال . ولكن حدَّ من تأثير حث الأديان على هذا حدّ منه تركيب المجتمعات البشرية المتعلق بالأعمال والأرزاق ، وهيمنة الأقلية بصورة أو بأخرى على الأكثرية .. وقد حالت وتحول هذه الهيمنة ومنعت من الإفلات من هذا التركيب أو مقاومة هيمنة الأقلية على الأغلبية الأقل قوة وأكثر احتياجًا !

وهذا هو نوع الحياة التى يحياها الآدميون من ماضٍ سحيق عاشوه وطوروه ضمن تطورهم ؛ وتغلغل فى أفرادهم وجماعاتهم .. لا يختفى بمشيئة فرد أو بحركة حزب أو نتيجة قدرة دموية أو بيضاء غير دموية ، ولا بمحاولة إيجاد نظام اجتماعى أو اقتصادى جديد مكان نظام قديم .. ذلك لأن هذا التراكم حصيلة حية جدًا لتفاعل عادات وخبرات وعقائد وطرق تفكير وأفعال وردود أفعال لدى المحكومين الحاكمين ، ولم تتغير طبيعتها ودوافعها وأغراضها لدى الثائر أو قائد الثورة ، ولا لدى الداعى أو كبير الدعاة ، فلا يوجد ما يحمل هؤلاء وأولاء على إزالة ذلك عاجلا وفورًا وجبرًا خوفًا من أن يسرقه الوقت ، فتتراخى المواجهة وتتأخر وتضيع فرصة الإصلاح المرتقبة فى وهم أو فى حساب من انتواها ، إن كان قد انتواها حقيقة وفعلا . ثم تتوالى الأيام ، ويتوالى استتباب الأمر وانصياع الناس ، فيتسرب إلى الفهم قصدًا أو بغير قصد أن الانصياع رضاء وقبول وموافقة ، وتسهم الشعارات المتداولة فى تكريس هذا الفهم والإيمان به والعيش والممات عليه ، دون الالتفات أو التفطن إلى أن الآلاف والملايين من الأمهات والآباء قد أضناهم التعرض للعنف والقهر والتجريد والتغريب والتخريب .. فيزداد إزاء هذا اليأس

والإحباط يزداد ارتباط الأغلبية المقهورة بالأيام الماضية وأمجادها وأحلامها ومواسمها وأعيادها ، ويزداد الحنين إلى تلك الأيام فينقل الآباء والأمهات ذلك الارتباط الحزين المليء بالأشواق والذكريات إلى الأبناء والبنات الذين لم ينفع فى استخلاصهم للثورة كثرة الشعارات والدعايات والمناهج المبرمجة فى المدارس والمعاهد ، ولا المطبوعات والنشرات للتنظيمات الحزبية والإدارية والرقابية فى المحيط القديم الذى حاولت الثورة أن تغمره بها للتأثير فيه ؛ فلم يفلح ولم ينجح فى إقناع الناس بالثورة والتعلق بها !!!

من تراب الطريق (٥٥٧)

الاستعداد للمحبة بين الظهور والاختفاء (*) (٥)

الثورات بعامة ، انفجارات لكيانات اجتماعية لم تعد مكوناتها قادرة على التحمل والعمل فى ظل ظروف جائرة أو فاسدة أو قمعية أو معكوسة أو محبطة ، فعبرت عن رفضها فى اندفاعات عشوائية ولا أقصد الانقلابات لا تبالى ولا تحكمها حسابات ولا تنظيمات ولا تحكمات ، ولا تخضع فى مثيرتها لتحكم أحد ، ولا يعرف المشاركون فيها بعضهم ببعض ولا كيفية عمل تلك المكونات التى تشكل فى مجموعها بنية الثورة .. ولذلك فإن مسيرة الثورات فى عين من يراقبها مكونة من نوبات أو موجات أو دفعات على شىء من العنف .. لكلٍّ منها غالباً رجالها .. يظهرون ويتحققون مع ظهورها واختفائها .

والملاحظ أن الثورات بعامة ، لا تنتهى موجاتها ونوباتها ، إلاَّ بخفوتها ووهنها وفراغ الحماسة الدافعة لها ، أو بتحقيق غايتها بتولى دست الحكم واضطلاع القيادة التى تتشكل منها بشئون الإدارة ، فتخسر موجات الثورة تاركة لهذه القيادة الاضطلاع بالإصلاح المنشود من دافع الأسباب التى ألهمت أو أججت الثورة .

ولا تصل الثورات بعامة إلى غايتها ، إلاَّ بتحقق الاندماج القوى المكونة منه فى تركيبة اجتماعية واقتصادية جديدة تلائم الأغلبية الشعبية واقعاً

(*) المال ١٠/ ١/ ٢٠١٢

وفعلاً .. وأن تحتوى هذه التركيبة وتضم فى داخلها أى تباين فى الأصول أو الأطياف أو الثروات أو المذاهب والآراء .. بحيث يحرص الناس ، أو قل مجمل المجتمع ، على بقاء هذه التركيبة والمحافظة عليها .. مع وجود نظام للحكم يسمح بالاستجابة للمتطلبات العامة الجديدة والتغيرات اللازمة لها والمستندة ابتداءً وانتهاءً إلى إرادة أغلبية الشعب .

ولا ينجح فى إتمام الثورات وتحقيق غايتها ، أن تجمع إلى جوارها القديم الممقوت أو أن تتركه على قدمه ومقته مستظلاً بالقوة والبطش ، فذلك باب مفتوح لصراع ظاهر وخفى يؤدى إلى ارتباكات وصراعات وتحزبات يتعذر إن لم يستحل معها أن تجرى المصالحة والتعايش بين الأطياف المتصارعة التى لم تنجح الثورة أو النظام الذى أسفرت عنه فى احتوائها والتأليف بينها .

إن الوداد أو المحبة أو التعاطف الكامن فى استعداد الآدمى ، والممتد فى فطريته ، هى الغائب الحاضر فى اللحظات القاهرة من الاندفاع والغلواء والتى تمسك بالآدمى فى لحظات غضبه أو انفعاله أو ثورته .. ولا سبيل لذلك إلاّ مع نضج هذا الاستعداد المبصر والسليم ، فإن أخفق وتعثر ، فشل المجتمع فى كفالة وحدته وتآلفه ، وأسرع به إلى اليأس والتشاؤم ، وإلى تراكم أسباب جديدة للاعتراض والثورة .. وهذا يضعف باستمرار انطلاقة المجتمع أى مجتمع إلى تحقيق ما يليق بمواهبه التى خصّه بها خالقه عز وجل .. ولذلك فقد تغشى أجواء البشر أنواعٌ متعددة من الغيوم والصواعق والعواصف التى هبت وتخمد ، وتأتى وتذهب ، ويُنْسى هبوبها وخمودها أو مجيئها وذهابها ، يُنْسى الحماقات التى سببتها أو صاحبتها ، والتى مع تكرارها تؤدى بالمستفاد منها إلى نمو وتطور علم الآدميين وفهمهم واتساع رقعة معارفهم ومهاراتهم

ووسائلهم ، وإلى دراية العقل والفهم البشريين بالأسباب والنتائج ، وإلى نمو قدرتهم على تصور المستقبل واحتمالاته واتساعاته ، وإلى رحابة فى قدرة العقل والفهم على مقابلة الأيام القادمة ومسايرتها بنجاح وفاعلية .. على قدر ما تسمح به الظروف والمقادير . إذ حياة كل حى محوطة بغيب كثيف لا يعلمه إلاَّ علام الغيوب !